لسان العرب

(تابع لما قبل)

هذا ما اتفق لنا العثور عليهِ في هذا الكتاب نسقناهُ بحسب ترتيب المواد ليسهل تتبعهُ في التصحيح وهو كما تراهُ لا يكاد يتعدى مئتي مادةٍ من الكتاب ولعلهُ قد بقي هناك ما يزيد على ما ذُكر لاننا لم نستقرِ المواد كلها ولا تصفحنا مادةً بقصد انتقادها وتصحيحها لان ذلك مما يقتضي تفريغ الذرع لهُ والانقطاع لمطالعة الكتاب شهوراً بل سنين وأنَّى لنا ذلك مع ما نحن فيهِ من ضيق الوقت وتجاذب الاشغال. ولذلك نأمل ان يقوم من علماء هذه الامة وجهابذتها من يتفرغ لهذا العمل الخطير تحريراً للّغة مما جرَّ عليها جهل النسَّاخ وردًّا لهذا الكتاب النفيس الى نصابهِ حتى يكون الآخذ عنهُ بمأمنٍ من الزيغ لانهُ آخر ما تنتهي اليهِ ثقة اللغويّ ويسترسل اليهِ في تحرير الالفاظ وتحقيق المعاني . وحسبك ان مثل مؤلف تاج العروس على تضلعهِ من اللغة وتبحرهِ في معاني المواد والمشتقات قد استُدرِج بما فرط فيهِ من الاوهام حتى لا تكاد تجد غلطةً مما نبهنا عليهِ في هذا الموضع الا وهي منقولةٌ بحرفها في كتابهِ من غير تصحيح ولا تنبيه اللهمَّ الا ما كان من قبيل ضبط الكلمات بالشكل لان هذا الكتاب غير مشكول فيكون ما ذكرناهُ هنا تصحيحاً للكتابين جميعاً

قلنا ومن هنا يُعلَم ان تلك الاغلاط قديمة في نُسَخ لسان العرب من قبل عهد المرتضى وان ما جاء منها في تاج العروس هو من قلم المؤلف نفسهِ لا من اقلام النسَّاخ بعدهُ . على انهُ قد جاء في خطبة المرتضى في

تاج العروس ان النسخة التي كانت عنـدهُ من لسان العرب « هي النسخة المنقولة من مسوَّدة المصنف في حياتهِ » وما ندري كيف ذلك . بل الذي يظهر لنا ان تلك الاغلاط كانت في الاصول التي نقل عنها صاحب اللسان ايضاً لان صاحب تاج العروس يذكر ان تلك الاصول بعينهـا كانت بين يديهِ فلو كانت خاليةً من تلك الاغلاط لخلا كتابهُ منها ولم تكن الاغلاط التي جاءت فيهِ هي نفس اغلاط لسان العرب كما تجد ذلك بالمقابلة بين الكتابين . ومهما يكن هناك فليس من المحال اليوم تصحيح اكثر تلك الاغلاط ان لم يمكن تصحيح جميعها اذا تولاَّها واحدٌ او غير واحد من العارفين باسرار اللغة وارباب النظر الصادق في صحة النقل وفسادهِ . وانت خبيرٌ بأن ورود هذه الاغلاط في كلٍّ من الكتابين المذكورين وتواطؤهما فيها على نصٍّ واحد يُعدّ ولا جرم من اعظم المزالق للناقل لمكان شهرتهما ولما عُرف بهِ مؤلفاهما من رسوخ القدم في اللغة وبعـد الغاية في الوقوف على مداركها

وقبل ان نختم هذا الفصل لا بدّ لنا من التنبيه على اغلاطٍ أُخر مرَّت امامنا عقيب شروعنا في نشر الاغلاط السابقة بحيث تعذَّر الحاقها بها في اماكنها فرأينا ان نجعلها ذيلاً لهـا نذكرهُ في هذا الموضع وان اطلنا على المطالع بعض الشيء على انَّا نعدهُ ان عثرنا على غيرها ايضاً ان نرجئها الى موعدٍ آخر وبالله التوفيق

فمن ذلك في مادة (ج س أ ـ في اواخر المادة) « وجُسِئت الارض فهي مجسوءة من الجَسْء وهو الجلد الخشن الذي يشبه الحصى الصغار » .

فقولهُ « الجلد الخشن » رُوي « الجلد » عارياً عن الضبط وضُبط في نسخة القاموس المطبوعة في بولاق بالكسر وضبطهُ صاحب تاج العروس بالتحريك اي بفتح الجيم واللام والاظهر على هذا انهُ ذهب الى كونهِ بمعنى الارض الصلبة لان الجسوء بمعنى الصلابة واليبس . لكن بقي الاشكال في قول المؤلف « الذي يشبه الحصى الصغار » فان هذا لا يصح في وصف الجَلَد بمعنى الارض الصلبة ولا في وصف الجِلد الذي هو غلاف جسم الحيوان. وقد حار الناقلون عن هذه الكتب في تفسير « جُسئت الارض » لانهم لم يفهموا شيئاً من التفسير المذكور ولذلك عند ما ارادوا تفسير هذا الفعل عادوا الى اصل معنى المادة وهو الصلابة فقسروهُ بمعنى « صَلُبت » . لكن وقع هناك اشكالٌ آخر وهو بنآء هذا الفعل للمجهول فانهُ اذا كان بهذا المعنى لم يخرج عن صيغة المعلوم لانهُ لا يكون الا من الافعال اللازمة على حدّ صَلُبَ وخَشُنَ وطَرُؤَ ورَخُصَ وما اشبه ذلك . وانما ورد هذا كلهُ من لفظ « الجلد » فانهُ لا يتجه لهُ معنًى في هذا الموضع وانما هو « الجليد » بوزن امير وهو ما ينعقد على الارض من الندى فيجمد سُمّي بالجَسْء لجمودهِ ويؤيد هذا المعنى تفسير صاحب القاموس لهُ بعد ذلك « بالمآء الجامد » . ويقال منهُ « جُسِئَت الارض فهي مجسوءة » اي اصابها الجسء كما يقال جُلِدَت [1] من الجليد وضُرِبَت من الضريب وصُقِعَت من الصقيع وهلمّ جرًّا وهي افعالٌ اشتُقَّت من هذه الاسمآء وهو معنى قولهِ « جُسِئَت من

(١) ضبط صاحب القاموس جلدت الارض بوزن فرح وضبط في اللسان بصيغة المجهول وكرر هذا الضبط عينهُ في مادة (ض ر ب) ومادة (ص ق ع)

الجس ، كما يظهر بالتدبر

وفي مادة (ل م أ ـ ص ١٤٤ س ١٤) « تلمعت عليـهِ الارض وتودّأت عليهِ الارض وتكمأت عليهِ اذا غيبته » ولم يجئ « تلمعت » بهذا المعنى وصوابهُ « تلمأت » بالهمزة مكان العين كما فُسّر هذا اللفظ في موضعهِ

وفي مادة (ض ر ب ـ ص ٣٤ س ١٥ ـ ١٦) « من الضريب وهو الأَزيز اي البَرْد والجليـد » رُسِم « الازيز » هكذا بزايين وصوابهُ « الأَريز » براءٍ مهملة مكان الزاي الاولى . وضُبط « البرد » بفتح فسكون وصوابهُ « البَرَد » بفتحتين

وفي مادة (ح س ب ـ ص ٣٠١ س ١٩) « فجعلَ النسبَ عددَ الآباء والامهات ... والحسبُ الفعالُ » . ضُبط كلٌّ من « الحسب » و « الفعال » بالرفع على انهما جملةٌ مستأنفـة وهو غير المقصود والصواب النصب فيهما عطفاً على مفعولي « جعـل » كما يقتضيهِ سياق الكلام وكما يدل عليهِ ما جاء بعد ذلك من قولهِ « قال الازهري الخ »

ومثل هذا في مادة (ع ج ب ـ ص ٦٩ س ٢١) « ولكن الانكارُ والعجبُ الذي تلزم بهِ الحجة عند وقوع الشيء » وضُبط « الانكار والعجب » بالرفع فيهما والصواب نصبهما لتصحيح المعنى لان التقدير « ولكن » ينكرهُ ويعجب منهُ « الانكارَ والعجبَ الذي تلزم بهِ الحجة » فالمصدران مفعولان مطلقان للفعلين المذكورين وهما مع ما يليهما تمام المعنى السابق كما يظهر بالتامل

وهو مقتضى عبارة الصحاح والاساس وصريح ضبط المصباح فالاظهر ان ما في القاموس سهو

وفي المادة نفسها (ص ٧١ س ٤) « والعُجب الزُهُوُّ » ضُبط « الزهو » بضمتين وتشديد الواو على فُعُول وصوابهُ « الزَهْوُ » بفتح فسكون

وفي مادة (ل ب ب ـ ص ٢٢٩ س ١٤) « جمع اللبّة وهي اللِهزِمة التي فوق الصدر وفيها تُنحَر الابل » . ورُويت « اللهزمة » هكذا بلام مكسورة في اولها وكسر الزاي وهي عظمٌ ناتئٌ في اللَحْي تحت الاذن واين هي من المعنى الذي فُسّر بهِ . وصوابها « الهَزْمة » بترك اللام من اولها وبفتح الهاء وسكون الزاي وهي الثُغرة في اعلى الصدر بين الترقوتين

وفي مادة (ل ج ب ـ ص ٢٣٢ س ٢) « قال مهلهَل بن ربيعة » ضُبط « مهلهل » بفتح الهاء الثانية وصوابهُ بكسرها لانهُ اسم فاعل

وفي مادة (و ع ث ـ في اول المادة) « الوَعْث المكان السهل الكثير الدَهِس » وضُبط « الدهس » بفتح فكسر على الصفة وصوابهُ « الكثير الدَهَس » بفتحتين على المصدر (ستأتي البقية)

البحتري

﴿ بقلم حضرة الكاتب المجيد امين افندي الحداد ﴾

(تتمة ما سبق)

ولقد افتخر ابن سناء المُلك في تلك القصيدة الطنانة التي يقول في مطلعها

سوايَ يهاب الموتَ او يرهب الردى   وغيريَ يهوى ان يعيش مخلدا

ولكن الذي يتطلب معرفة الاخلاق من طريق الشعر لا يرى في كل تلك القصيدة ما يدل على صحة الدعوى التي يدّعيها الناظم لظهور التكلف

فيها والاقتصار على المبالغة في الوصف والتشبع الفارغ الى ما وراء المطبوع ولو كان فيها بيت او بيتان صادران عن تلقين الطبع وعلى صورة تدل على الصدق لامكن الحكم بان الناظم كان في حيث يقول . واين هذه القصيدة في الدلالة على حقيقة القائل من قول البحتري مثلاً يشكو ويفتخر

تجهمني المستضعفون وقد رأوا تجهُّم ظلّام متى يكوِ يُنضِجِ
اروم انتصاراً ثم يثني عزيمتي تقايَ الذي يعتاقني وتحرجي
هما حجزا شغبي وكفّا شكيمتي فلم اتوعر في وسيقة منهجي
ولم اسرِ في اعراض قوم اعزة سُرى النار شبّت في ألاء وعرفجِ
تهضّمني من لو اشاء اهتضامه لأدركهُ تحت الخمول تولجي
ومن عادتي والعجز من غير عادتي متى لا أرُح من حضرة الذل أُدلِجِ
يظنّ العدى اني فنيت وانما هي السنُّ في بُردٍ من الشيب مُنهَجِ
نضوت الصبى نضو الرداء وساءني مضيُّ اخي انسٍ متى يمضِ لا يجي

فان البحتريّ هنا افتخر وشكا ولكن فخرهُ وشكواهُ جاءا صادقين وتكفلت صورة التركيب بالشهادة على هذا الصدق لان ذكرهُ للتقى وكبر السن وعدم الرغبة في التعرض للاعراض مما خرج عن مألوف الافتخار وطرق التعبير فيهِ بحيث كان شعرهُ بمعناهُ كانهُ نسخهُ من اشعار الجاهلية الموصوفة بالصدق والبعد عن التصنع

ثم ان الشعر الذي يصدر عن نفس الشاعر لا يكون دالاًّ على نفسهِ فقط بل دالاً على الموصوفات التي يذكرها كما مرّ بك في مدائح البحتري واوصافهِ وظهور الحقيقة فيها من وجوه التعبير والخروج عن مألوف المديح.

وهذا مما تمكن معرفتهُ من شعر كل شاعرٍ فان المتنبي مثلاً ما ترك شيئاً يحسن بوصف سيف الدولة حتى قالهُ فيهِ ولكنك لو تفقدت كل مدائحهِ لم تجد فيها ما يعدو التاريخ المكتوب عنهُ من حيث ان سيف الدولة كان كريماً شجاعاً مدبّر حروب ولكنك حين تمرّ مثلاً من قصيدتهِ البآئية بالبيت الذي يمدحهُ فيه بقولهِ

له خطراتٌ تفضح الناس والكتبا   عليمٌ باسرار الديانات واللغى

فانك تشعر هنا بان شأناً غير تلك الشؤون المعروفة قد دعا المتنبي الى ذكر ذلك عن ممدوحهِ وتنبه الى انّ سيف الدولة كانت لهُ مشاركةٌ في علوم الاديان وانهُ حقيقةً كان يجري ذكر الديانات والبحث فيها في مجلسهِ ولا سيما وانهُ كان يجاهد الروم في سبيل الدين فكان التعصب الديني ولا بدّ منتشراً لعهدهِ والا لما تنبه المتنبي الى ذكر ذلك في شعرهِ لان ذكر المعرفة بالدين ليس مما يُمدَح بهِ عادةً . والظاهر انهُ كان عارفاً ببعض اللغات الشائعة في عصرهِ او المجاورة لارضهِ فكان في غالب الظن يعرف الرومية والفارسية ولا يبعد انهُ كان يعرف السريانية ايضاً . ومما يقرب من هذا قولهُ في أحد ممدوحيهِ

فان لحتَ ذابت في الخدور العواتقُ   خفِ اللهَ واستر ذا الجمال ببرقعٍ

فان وصف الرجل بانهُ حسن الصورة ليس من المألوف في المديح ولكن الممدوح كان جميل الوجه حقيقةً فتنبه المتنبي الى ذلك فيهِ ووصفهُ بهِ فقام لديهِ بمقام المؤرخ وهذا مما يستحسن من الشاعرِ ولو انهُ ليس من غرض الشعر . ومن هذا القبيل قول البحتري في الفتح بن خاقان

اذا ما مشى بين الصفوف تقاصرت رؤوس الموالي عن طُوال سميذعِ

فانهُ دوَّن هنا ان الفتح كان طويل القامة ولعل هذا لم يرد عنهُ في التاريخ. ثم قال ايضاً يصف مهابتهُ وجلال طلعته

اذا ارتدَّ صمتاً فالرؤوس نواكسٌ وان قال فالأعناق صُورٌ خواضعُ

منيفٌ على هام الرجال اذا مشى اطال الخُطَى بادي البشاشة رائعُ

فانهُ زاد هنا في الدلالة على طولهِ. ثم قال فيهِ عند ذكرهِ اول مرةٍ قابلهُ فيها

فلما دخلنا سُدَّة الإِذن أُخِّرت رجالٌ عن الباب الذي انا داخلهُ

بدا لي محمودُ السجيَّة شُمِّرت سرابيلهُ عنهُ وطالت حمائلهُ

فان البحتري هنا قد استوفى التاريخ بان الفتح كان بادي الطول ممتازاً بهِ وهذا وان كان لا يطلبهُ الشعر كما قلنا فان التنبيه الى مثلهِ في حالةٍ اخرى كمدح او رثاء او هجاء يُعدّ دالاً على الصدق ورواية الحقيقة. وفي البيتين شيءٌ آخر وهو الدليل على ان البحتري كان عالي القدر الى رتبة الاشراف والوزراء لان ذكرهُ تأخير الرجال عن سدّة الاذن وتقديمهُ دونهم مما لا يرد عن مألوف الافتخار ولكنهُ امرٌ واقعيٌّ حدث فعلاً فلما شعر بسموّ نفسهِ واراد الافتخار تنبه لهُ وذكرهُ

هذا واني لم اقصد بهذا التذييل الردّ على مقالة تيمور بك فان ما ذكرتهُ هنا اقرب الى ان يكون تفصيلاً لكلامهِ من ان يكون نقضاً لهُ. ولكن غرضي منهُ ارشاد الناقد للشعر والراغب في معرفة حقائق الاخلاق والتاريخ منهُ الى التنبه لمثل هذه الدقائق الخفية فانها وحدها على قلّتها كافية لمعرفة مقادير الشعراء وعلم ما كانوا عليهِ مع ممدوحيهم وموصوفاتهم. وفي

اعتقادي ان ما ذكرتهُ عن البحتري كافٍ لان يكون دليلاً على منزلة الشعر العربي ومحرّضاً للمتأدبين على قرآءة شعرهِ وشعر امثالهِ من ملوك الكلام وزعمآء النظام وليعتقدوا ان مثل ابي الطيب وابي عبادة قد أدناهم شعرهم الى مراتب الملوك حتى نادموا الخلفآء وشفعوا لديهم في الملمات كما كان يفعل البحتري وان الشعر وان قل قيمةً في هذا العهد فان المجيد فيهِ لا يعدم جزآءهُ من سموّ المكان اينما كان والدُرُّ دُرٌّ يرغم من جهَلَه

جراثيم الاختمار عند المتقدمين

عثرنا لبعض الباحثين على المقال الآتي فاحببنا تعريبهُ لغرابتهِ قال

كان أرِسطو يجعل انحلال الاجسام والتولد الذاتي شيئاً واحداً فكان من مذهبهِ ان الجسم اذا انحلّ بعد الموت بفعل الحرارة والرطوبة تولَّد عنهُ كائناتٌ حية وأن الديدان تتولد من انحلال النبات بل من التراب نفسهِ اذا سقط عليهِ الندى والجرِيّ (الانكليس) يتولد من الغرِيَل اي من الطين الذي تحملهُ الانهر عند اختمارهِ . وعلى هذا كان جميع علمآء الزمن الاول حتى كان اوفيديوس وفِرجيل يعتقدان أن النحل يتولد من الجِيَف وهو كما لا يخفى معتقدٌ قديم كما يؤخذ مما جآء في خبر شمشون في سفر القضاة (ف ١٤)

وكان كيماويو العرب يبحثون عن الحجر الفلسفي وتحويل المعادن واكسير الحياة . وكانوا يرون ان للاختمار قوةً على التجديد لا تفنى بالعمل وان فيهِ ما يشبه التوليد ويكون بمنزلة العمل الحيوي . وعلى ذلك فاخراج

الحبّ للنبات يُعَدّ ضرباً من الاختمار وتحوُّل بعض المعادن الى بعض يُعَدّ ضرباً من التوليد وكما ان في حبّـة البُرّ مثلاً قوةً على التجديد بان يتولد عنها حبوبٌ اخر من نوعها فكذلك ينبغي ان يوجد ذهبٌ حيّ من خصائصهِ ان يولّد على الدوام والذهب المعروف الذي بين ايدينا هو بالقياس اليـهِ بمنزلة الخبز من الحنطة . فالحجر الفلسفيّ اذن كان عندهم بمنزلة نوعٍ من الخمير ينشأ عنهُ اختمارٌ مخصوص هو تحوُّل المعادن

وكذلك كانت الامراض عندهم تجري على هـذا القياس فقد كان الرازي وهو قبل پستور بنحو الف سنـة يذهب الى ان الجدري اشبه باختمار عصير العنب

واول من بحث في ذلك من المتأخرين ڤان هلْمُون البلجيكي من اهل القرن السابع عشر فذكر ان الاختمار يتوقف على امرين وهما مباشرة الهوآء وانبعاث غاز الحامض الكربونيك وكان يسميـهِ غاز الآجام . قال فان العنقود من العنب اذا كان سليم القشر بقي محفوظاً وجفّ واذا مُزّق قشرهُ لم يلبث ان يشرع فيهِ الاختمار وهي بداءة تحوُّلهِ . وهكذا فعصير العنب والتفاح وسائر الفواكه حتى نُقاعة الازهار والعساليج الرطبـة اذا فُضِخت كل ذلك يحدث فيهِ حين يأخذهُ الاختمار شبه حركة غليان مسببة عن انبعاث الغاز . وكان يقول ان هـذا الغاز هو عين الغاز الذي ينبعث عند قرع الطباشـير وبعض انواع الحجارة بالخلّ لكنهُ كان يزعم ان هذا الاخير ايضاً نوع من الاختمار كالذي سبقهُ

ومن مذهبهِ ان مآء انقى الينابيع اذا وُضع في انآء قد انتشرت فيهِ

رائحة نوع من انواع الخمير يركبهُ الطحلب ويتولد فيهِ دود وان الروائح التي تنبعث من المستنقعات تولّد الضفادع والعلَق وما أشبههُ وضروباً من النبات وربما تجاوز الى ما هو اغرب من ذلك فقال اذا شئت ان توجد عقارب فاثقب ثقباً في آجرّة وضع فيهِ شيئاً من الحبق واطبق عليها آجرّةً اخرى بحيث ان الثقب ينسدّ تماماً وضع الآجرّتين في الشمس فلا تأتي بضعة ايام حتى تصير رائحة الحبق بمنزلة خمير فتحوّل الحبق الى عقارب . واذا اردت ان توجد فئراناً فخذ قميصاً وسخاً واسدد بهِ فُوَّهة اناءٍ مملوءٍ حنطةً فان الخمير المنبعث من القميص الوسخ يتكيف برائحة الحنطة فلا يمضي على ذلك واحد وعشرون يوماً حتى تتحول الحنطة الى فئران تخرج بالغةً وفيها اناثٌ وذكور ويمكن ان تتوالد

على ان هذه الاقوال مع ما فيها من الغرابة فان جميع علماء ذلك العصر كانوا على مثل هذا المذهب حتى ان الندوة العلمية المعروفة باكادمية الشّيمنتُو بفلورنسا وضعت امر التولد الذاتي تحت البحث . وممن اشتغل بتحقيق ذلك فرنسيس رّيدِي احد علماء فلورنسا من معاصري هلمون المذكور فعمد الى اختبار تولد الهوامّ من لحم الحيوان بعد انحلالهِ فاثبت انها انما تتولد من جراثيم تلقيها في اللحم هوامٌّ من نوعها . واقتفاهُ في ذلك لاڤوازياي وغيرهُ في مدة القرنين التاليين الى ان جاء پستور فقوّض آخر دعامةٍ بقيت من مذهب التولد الذاتي واثبت ان كل حيٍّ من حيّ حتى في ادقّ الكائنات المجهرية

خمر بدون عنب

من غريب ما تناقلتهُ الجرائد في هذه الايام عن تفنن اصحاب الكيميآء الحديثة انهم اخذوا يصنعون الخمر من غير العناصر المخلوقة في العنب وتلك الخمر يتخذونها من السكَّر بتحويل تركيبهِ الى تركيب الخمر . وذلك ان تخفيف ضرائب المكس على السكَّر عملاً بالاتفاق الدَوْليّ الذي أُبرم آخراً في بروكسل قد فتح لها باباً لهذا التقليد فكانوا يعمدون الى السكر ويضيفون اليهِ شيئاً من الغليسرين وحامض الطرطير ونوعاً من الخمير لا يزال مجهول الماهية فيصنعون من ذلك خمراً بيضآء . وهذه الخمر يبيعونها في مكانها بسعر ١٢ فرنكاً لكل مئة لتر . واذا ارادوا تلوينها فليس الا ان يضيفوا اليها شيئاً من حبّ البلَسان او غيرهِ من النبات الملوِّن فتخرج ياقوتةً حمرآء لا فرق بينها وبين خمر العنب

وهناك طريقةٌ اخرى لتلوين الخمر هي اقلّ شهرةً من الطريقة السابقة ولكنها لا بد ان سيكون لها شأنٌ في المستقبل القريب في مزاحمة الخمر الطبيعية . وهي انهم يضيفون اليها حين التخمير شيئاً من ورق الكرم الملوَّن فان هذا الورق يمجّ صبغاً اشبه بلون الخمر الطبيعية . وقد ذُكر انهم باستخدام هذا الورق تسنى لهم في السنة الماضية ان يحولوا مقادير كبيرة من خمر السكر البيضآء الى خمرٍ حمرآء وانهُ بذلك ازداد ريع الكروم التي ابتيع هـذا الورق منها من ٢٠٠ الى ٣٠٠ فرنك في كل هكتار (عشرة آلاف متر مربع) من الارض اذ بيعت مئة الكيلغرام منهُ بعد القطاف بسعر ١٠ فرنكات

وباعتمادهم الطريقة المذكورة ازدادت هذه الخمر شبهاً بالخمر الطبيعية حتى اصبح لا يمكن التميـيز بينهما الا بامتحانات كياوية تقتضي دقةً وعملاً طويلاً . الا ان وجه العمل في هذه الطريقة لا يزال الى الآن سرًّا مكتوماً كشأن كل اختراعٍ او اكتشافٍ مُحدَث ولكن هذا السرّ لا بدّ ان يذاع يوماً فيتوصل كل انسان الى صنع هذه الخمر لنفسـه تاجراً كان او ربّ منزل . ولذلك فان اصحاب معامل الخمور قد اوجسوا من هذه الخمر شرًّا كبيراً وارتفعت شكاويهم في الجرائد والمجلات على حين لا حيلة لهم في درء هذه الآفة ولا سيما اذا لم يكن في هذه الخمر الجديدة ما يضرّ بالصحة . على ان هذا غير مأمون لان كل شيء جاوز المادّة الطبيعيـة ودخل في حيز الصناعة دخلهُ الغش في الغالب لان اكثر الناس لا يبالون الا بمنفعةٌ انفسهم ولو كان فيها ضررٌ لغيرهم

ديوان ابن مامية الرومي

(ملحق اول)

﴿ من قلم رزق الله افندي عبود في حمص ﴾

﴿ توطئة ﴾

علم قرآء الضيآء الافاضل اني كتبت منذ مدة مقالة عن ديوان ابن مامية الرومي نُشرت في الاعداد الماضية وصفتُ بها اوراقاً متفرقة من ديوانهِ محفوظة في مكتبتي وبحثت في شعرهِ واثبتُّ نبذة في ترجمة حياتهِ مستنداً فيها الى اشعارهِ نفسها اذ لم اعثر لهُ وقتئذٍ على ترجمة وطلبت ممن يعرف

اخباره ُ ان يتكرم بافادتي عنها • وبعد كتابتها وارسالها للطبع عثرت في تضاعيف مطالعاتي على فصل للعلاَّمة شهاب الدين احمد الخفاجي (١) في كتابهِ « ريحانة الألبَّا وزهرة الحياة الدنيا » وصف فيهِ ابن مامية بعبارات انيقة واورد شيئاً من اشعارهِ الرقيقة • فسررت بوجود هذه الطرفة واشعرت بالخبر صاحب هذه المجلَّة المفضال ووعدتهُ ان ابعث اليهِ بالفصل المذكور مع بعض تعليقات عليهِ مما اشار فضيلتهُ اليهِ في محلهِ (راجع الضيآء ٦ : ٣٤٠) • ولكن بعد ان نُشر الجزء الأهم من مقالتي في العددين التاسع والعاشر اطلعت على فصلين يتعلقان بهذا الموضوع نُشرا في آنٍ واحد الاول في مجلة المشرق من صاحبها المحترم الاب لويس شيخو اليسوعي والثاني في مجلة الضيآء من حضرة السريّ الاريحيّ صاحب العزة احمد بك

(١) هو شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري صاحب التآليف المشهورة والتصانيف السائرة قرأ على شيوخ زمانهِ اللغة والفقه والادب والطب وارتحل الى الحرمين الشريفين والقسطنطينية واخذ عن علمآئها علم الكلام والرياضيات وتقلد منصب القضآء مراراً في عدة مدن • ولهُ من التآليف الرسائل الاربعون وحاشية تفسير القاضي في مجلدات وحاشية شرح الفرائض وشرح درَّة الغوَّاص للحريري وطراز المجالس وحديقة السحر وكتاب السوانح والرحلة وحواشي الرضي والجامي وشفآء الغليل في الكلام الدخيل وديوان شعر وغير ذلك • اما كتاب ريحانة الالبا الذي نحن في صددهِ فقد جمع فيهِ اوصاف من عاصرهُ ورآهُ او سبق عصرهُ بقليل من ادبآء وشعرآء الشام والمغرب والحجاز واليمن ومصر والروم وهو من الكتب الادبية الممتعة • وكانت وفاة الخفاجي سنة ١٠٦٩ هـ (١٦٥٨ م) • (راجع ترجمتهُ المطوَّلة في كتابهِ الريحانة ص ٣٥٠ وما يليها)

تيمور اوردا فيهما خلاصة ما يعرفانهِ عن هذا الشاعر وعن ديوانهِ مما يستحقان عليهِ اجزل الشكر واجمل الثناء . واني مع اعترافي بمنزلتهما العلمية وفضلهما وشكري لهما غيرتهما على نشر آثار السلف استأذنهما بكتابة هذه المقالة مبتدئاً بكلمات الخفاجي وفآء بوعدي السابق فاقول

(١)

جاء في صفحة ٨١ وما يليها من كتاب ريحانة الالبا للخفاجي ما يأتي .

(محمد بن الرومي المعروف بماماي ابن اخت الخيالي نزيل دمشق الشام) شاعر توقدت جمرات افكارهِ وتوردت في رياض الشام وجنات ازهارهِ وابتسمت في ناديهِ ثغور انوارهِ لكنها خدود لم يترقرق عليها دمع القطار ومباسم لم ترشف الشمس منها ريق الامطار فللهِ درّهُ من فصيح لم يعلّل بمياه عروق القيصوم والشيح ولم يُغذَ بلبان العربيَّة ولم يتفكَّه بثمار العلوم الجنيَّة لانهُ من بني الاصفر[1] وممن قاسى الفقر الاسود وهو الموت الاحمر الا ان للبقاع تأثيراً في الطباع فلما تغذَّى طفل جبلتهِ ماء الشام ونسيمه وبزغ هلالهُ فيهِ بعد ان اميطت عنهُ هالة التميمه انصقل طبعهُ

(١) بنو الاصفر لقب اطلقهُ كتبة العرب على ملوك الروم قال عدي بن زيد العبادي من قصيدتهِ المشهورة

وبنو الاصفر الكرام ملوك الـ روم لم يبقَ منهم مذكورُ

ثم توسعوا فيهِ فاطلقوهُ على جميع الروم ثم على الفرنج كافةً . ولكتاب العرب في اصل هذه التسمية اقوال كثيرة لا محل لها هنا . والمراد في قول الخفاجي ان صاحب الترجمة من بلاد الروم المعروفة بالروم ايلي وهي اقليم مشهور متسع كثير البلاد

المرهف فانبرت شمائلهُ ارقّ من الشمال وألطف لاسيما وابو الفتح[1] ماشطة عرائس فكره ومليٍّ شعث لمَّة نظمهِ ونثره اذا آنس طبعهُ لحنه او طَرَقَ طرْف ذهنهِ طيف هجنه[2] وقد طالعت ديوانهُ فرأيتهُ يعتريهِ علل وفتور ويدخل في مغاني معانيه وبيوتهِ القصور[3] فمن شعرهِ الذي اخترتهُ قولهُ

سمعت لسان الحال من قهوة الطلا يقول هلموا واسمعوا نصّ اخباري

---

(١) هو علاّمة عصرهِ ابو الفتح بن عبد السلام المالكي وُلد في بلاد المغرب وبها تثقف وتأدب ثم رحل الى الشام واستوطن مدينة دمشق وتولى بها قضاء المالكية ودام كذلك الى ان توفي سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٧ م) وكان عالماً فاضلاً وشاعراً نحريراً ترجمهُ الخفاجي في ريحانتهِ ص ٨٧ — ٩٥ وقد أرَّخ وفاتهُ تلميذهُ ابن مامية بقولهِ

مذ عالم الدنيا قضى نحبهُ منتقلاً الى جوار الاله
فأغلق الفضل بهِ بابهُ مؤرخاً مات ابو الفتح آه

(٢) وهذه خلاصة اوصاف الخفاجي لهُ . انهُ روميّ المحتد والمولد قدم الى دمشق واستوطنها وهو فتى لا يعرف من العلم شيئاً ثم تهذب وتأدب فيها على يدي الشيخ ابي الفتح المالكي الشهير . وبما ان بيئة الشام أثرت في طباعهِ وارهفت ذهنهُ فقد تمكن وهو روميّ غريب عن العربية من اتقان العلوم اللسانية ونظم الاشعار . ولكنهُ كان مع غزارة علمهِ فقيراً مقتراً وهذه الاوصاف توافق بعض ما كتبناهُ من اخبارهِ مستخلصاً من اشعارهِ (راجع الضياء ٦ ص ٢٦٨ وما يليها)

(٣) ان في نسبة الخفاجي القصور لاشعار ابن مامية تحاملاً ظاهراً . وفي المختارات التي اوردناها سابقاً من تلك الاشعار دليل بين على هذا التحامل و برهان مقنع على اجادتهِ فيها وخلوها مما يلحقهُ بها الخفاجي

فباسمي تسمَّت قهوة البن في الملا ولكنها لم تحكِ اصداغ خمَّاري
فمن كذبها قد سوَّد الله وجهها وعذبها بعد الاهانة بالنارِ[1]

ومنهُ قولهُ مضمناً

قد قالت القهوة الحمرآء وافتخرت كم قد ملكت ملوك الاعصر الأُوَلِ
وقهوة القِدر ان قَدْراً عليَّ علت «ليَ أُسوةٌ بانحطاط الشمس عن زحلِ»

واورد لهُ غير ذلك من الابيات التي نجتزئ عن ذكرها اكتفآءً بما نشرناهُ سابقاً (ستأتي البقية)

التدخين

عودٌ على بدء

من قلم مدخن ياكل السرطان

استأذن سيدي الدكتور بان اعلم حضرتهُ ان المقالة التي بعثت بها الى مجلة الضيآء الغرآء تحت عنوان « التدخين » ونُشرت في الجزء العاشر منها

---

(١) اثبت الاب شيخو اليسوعي صاحب مجلة المشرق هذه الابيات في مجلد السنة الثانية من مشرقهِ الزاهر (ص ٤٤٦) ونسبها الى ابن الفرنجية الشاعر الحلبي الماروني في القرن الثامن عشر والصواب انها لابن مامية وانما اثبتها ابن الفرنجية في مجموعهِ « المنتظم » فظنها حضرة الاب لهُ . وهي مكتوبة في صفحة ١٣٣ من نسخة ديوان ابن مامية التي بيدي . وقد روى الاب الفاضل عجز البيت الثاني هكذا . « ولكنها لم تحكِ بالفضل أخماري » والذي في نسختي « ولكنها لم تحكِ بالفعل إخماري » ولعلها الرواية الصحيحة المطابقة المعنى اكثر من روايتهِ ورواية الخفاجي وان كان في لفظ « اخماري » على هذين الوجهين ما فيهِ

صحيحة التعريب لا زيغ فيها ولا « شطط » وان ما رآهُ فيها من
« المضحكات » هو من نفس الطبيب الانكليزي صاحب المقالة الاصلية
لا من المعرّب. لكن يسمح لي حضرة الدكتور ان اصرح لهُ باني لم اعجب
من مقالة هذا الطبيب الانكليزي بمقدار عجبي من حضرتهِ كيف التبس
عليهِ مرادي من تعريبها فتوهم اني عرَّبتها بقصد ان افيد القرآء بمضمونها
والقي عليهم درساً طبياً. مع انهُ من الواضح الذي لا يحتاج الى اشارة ولا
تنبيه اني لم اقصد الا تفكيه القرآء بما جآء فيها من الاقوال الغريبة وتبصير
المطالع بما يركبهُ بعض الاطبآء احياناً من الغلوّ والمبالغة في الامور حتى
يتجاوزوا الى حدّ السخف. وهذا الذي فهمهُ من هذه المقالة كل من
طالعها فضحك كما ضحك الدكتور ولكنهُ لم يخطر ببال احدٍ قط اني اردت
منها الجدّ واذا طالعها الدكتور حق مطالعتها وحوّل نظرهُ من التدقيق في
المعاني الطبية الى التدقيق في المعاني الانشآئية وجد ان ما ذكرتهُ لهُ هو
الذي تشفّ عنهُ كلّ عبارةٍ لي فيها من اول سطرٍ افتتحتها بهِ الى توقيعي
في آخرها « مدخن يا كل السرطان ... »

﴿ انتحار مقامر ﴾

من نظم حضرة الشاعر العصري نقولا افندي رزق الله وهو وصف حادثة جرت في هذه الاثنآء في مدينة بيروت والابيات منظومة عن لسان صاحب الحادثة

يا ليـلةً ضيَّعتُ فيها م ما جمعتُ من الذخائر
ثمَّ استدنتُ فصرت مأ موراً وربُّ الدَّين آمر

ثم انثنيتُ مودعاً شرفي ورحتُ رواحَ خاسرْ
أمشي كئيباً مطرقاً وأغضُّ طرفاً غير ناظرْ
جفني يرفرفُ ساهراً والنوم من عينيَّ طائرْ
كم قد لعبتُ محاذراً لو كان يجدي أن أُحاذرْ
ولكم ربحتُ فقيلَ لي قُم يا غبيُّ ولا تخاطرْ
ولكم خسرتُ فقيلَ لي قم وأنجُ انَّ النحس دائرْ
فأبى عليَّ الجهلُ في الـ حالين الآ أن أُثابرْ
حتى رأيتُ اليأسَ زيَّنَ م لي مجاورةَ المقابرْ
فقتلتُ نفسي عامداً وحسبتها بعضَ الخسائرْ
فلتَرْوَ عني قصةٌ لم تُرْوَ الاَّ عن مقامرْ
سطرتها بدمي ليعتبر م المعاندُ والمكابرْ
إنَّ القمارَ كما ترى شرُّ الصغائرِ والكبائرْ

آثار ادبيّة

الياذة هوميروس – هي المنظومة التي طبَّقت شهرتها آفاق المعمور واجمع علمآء الادب على انها أُمَّ الشعر بل يتيمتهُ التي لم تمخض بمثلها قريحة شاعر وذلك لما اشتملت عليهِ من فخامة المعاني وسلامة التصور وبلاغة التعبير وما يستبطنها من الحكمة والادب ووصف الاخلاق والاهوآء وتمثيل ما كان لذلك العصر من عادات وعبادات وعلم وصناعة وسياسة

حتى كانت مورداً لاقلام المؤرخين والادبآء ومستمَدًّا لقرائح الحكمآء والشعرآء فلا بدع اذا نُقلت الى اكثر لغات الامم المتمدنة قديمها وحديثها واصبحت مطالعتها فرضاً على كل متعلم اديب ومستمتعاً لكل لوذعيٍّ اريب

الا انها على هذه الشهرة الطائرة وعلى ان العرب كانوا على بيّنةٍ من موضعها حتى ان الذين نقلوا الكتب لعهد الخلفآء العباسيين كانوا يتناشدونها باصلها اليوناني او بنقلها السرياني فانهُ لم يَدُر في خَلَد احدٍ منهم ان يتفرغ لنقلها الى العربية كما نقلوا غيرها من مؤلفات اليونان فلبث مكانها خالياً بين الاسفار التي ترجمها العرب عن اليونانية او السريانية ثم لم تلبث ان انقضت نوبة التعريب وطُوي برنامج تلك المعرَّبات على الحدّ الذي كان عليهِ لعهد الخلفآء وبقي امر هذه المنظومة امنيَّةً كامنة في صدور الايام

غير ان العلم لا يعدم في كل عصرٍ اناساً قد وقفوا عليهِ ايامهم وارصدوا لخدمتهِ جهدهم واهتمامهم فقد قُيّض لسدّ هذه الثلمة في هذا العهد ابن بجدتها العلامة اللغوي الشاعر الناثر سليمان افندي البستاني الشهير فحسر عن ساعد الجدّ وتجرد لتعريبها عن اصلها اليوناني فكانت هذه الحلقة متصلة بتلك السلسلة التي انقطعت منذ مئات من السنين . ثم زاد على ذلك ان نظمها شعراً عربياً جمع فيهِ من المتانة والاحكام ما شهد بطول باعهِ في صوغ الكلام ورسوخ قدمهِ في معرفة اوضاع اللغة واشتقاقاتها بحيث جاءت منزهةً عن الحشو والتكلف بعيدةً عن التعقيد والابهام لولا ما يكدر شرعتها من كثرة الاعلام اليونانية فيها كما نبه عليهِ المعرّب في مقدمتها بحيث انك لا تكاد تقرأ بضعة ابياتٍ منها لا يمرّ امامك فيها شيء من تلك

الاسمآء الا فيما ندر وربما جآء الاربعة والخمسة منها في البيت الواحد . وهذا ولا ريب مما يذهب بروتق التعريب ويضيع ما فيهِ من السهولة والانسجام ولا سيما وان لفظ اكثرها شكسٌ بعيدٌ عن سلاسة الكلم العربية فضلاً عن غرابة اوزانها وطول لفظها بحيث ان منها ما لا يكاد يُقرأ بمجرد تتبع حروفهِ حتى يُضبَط بالشكل او يُستدَلّ عليهِ احياناً بالوزن . والذي عندنا ان هذا هو اعظم الموانع التي صدَّت العرب عن نقل هذه المنظومة الى لغتهم وان كنا لا ننفي الاسباب الاخر التي ذكرها المعرّب وهي الدين واغلاق فهم اليونانية على العرب وعجز النقَلة عن نظم الشعر العربي

وفضلاً عن ذلك فان كثرة تلك الاسمآء حتى تبلغ العشرات في السياق الواحد قد تقف عقبةً في طريق فهم الحوادث بحيث لا يمكن ان تُفهم الا بعد درسٍ واستظهار . على ان المعرب لم يألُ حرصاً على سرد الوقائع قبل النظم ليتأتى فهمهُ عند تلاوتهِ ثم شفع ذلك بشرحٍ علقهُ على الابيات في كل موضعٍ خفي فيهِ المراد منها لمجازٍ بعيد او اصطلاحٍ خاص او اشارةٍ الى امرٍ سابق او لاحق لا يُفهَم من المقام . وذلك مع تفسير الغريب من اللفظ العربي حيث اضطرهُ الى العدول اليهِ الوزن او القافية او حيث لا مرادف لهُ من المأنوس وما لم يفسرهُ في موضعهِ فقد وضع لهُ معجماً خاصاً في آخر الكتاب مع ما سردهُ هناك من الفهارس العديدة الكافلة بجلاء غوامض النظم والاهتدآء الى كل ما أُودعهُ الكتاب من الفوائد

وجملة الامر انك اذا تصفحت هذا الكتاب وجدت الالياذة التي هي اساسهُ وعليها بُني التأليف امراً تافهاً بالقياس الى ما قُدّم عليها وأُلحق بها

من الشروح التي جمعت فاوعت والتي تدل على فضل المعرّب وسعة اطلاعه وغزارة محفوظهِ فانهُ احاط فيها باحكام التعريب والنظم واطوار الشعر العربي في عصرٍ عصرٍ من لدن ايام الجاهلية الى عهدنا الحالي ثم المقابلة بين الشعر العربي والشعر الافرنجي وبين جاهلية العرب وجاهلية اليونان وذكر الشبه بين احوال الجاهليتين بحيث وقع التوارد بين هوميروس وكثير من شعرآء العرب وقد جمع من تلك المتواردات نحو الف بيت من شعر الجاهلية . وبين كل ما ذكر من الفوائد النادرة والمباحث الدقيقة في اللغة وعلوم الادب وفنون الشعر واساليبهِ وضروب النظم واغراضهِ الى غير ذلك ما يطول نقلهُ ويضيق هذا المقام دون سردهِ وحسبك ما اقتضى ذلك كلهُ من إعمال الروية ومواصلة البحث والتدوين مما لا يُضطلع بهِ الا عن علمٍ واسع و عزمٍ صادق وجَلَدٍ لا يُغلَب

فنحن نثني على حضرة صديقنا الفاضل بما هو اهلهُ وان كان ثناؤنا لا يكافئ بعضاً من ذلك النَصَب الطويل الذي استغرق مدة سبعة عشر عاماً من اطيب اعوامهِ واثمن ايامهِ ونحضّ المتأدبين وطلاّب الشعر والبلاغة على مقتنى هذه الذخيرة التي لا يكثر فيها ثمن

والكتاب حسن الطبع جيد الورق مضبوط المتن بالشكل الكامل وهو يقع في ١٢٦٠ صفحة كبيرة ويطلب من اشهر مكاتب القاهرة وثمن النسخة منهُ مئة غرش مصري

فكاهات

افضل تذكار (١)

كان في احدى قرى فرنسا الصغيرة فتى من اسرة متوسطة الحال يدعى موريس جوسران تعلم في احدى المدارس البسيطة ونال حظاً وافراً من التهذيب. وبعد ان انهى دروسهُ رأى والده ان خير وسيلة لنجاح ابنهِ هي السفر فارسلهُ الى باريس مزوداً بارشاداتهِ ونصائحهِ وما ورث عنهُ من الخلال الحسنة وما احرز بعنايتهِ من الآداب والمعارف

فوصل الى باريس ولهُ من العمر خمس وعشرون سنة فانتظم في سلك الخدمة التجارية واكب على العمل باجتهاد فلم يمضِ العام الاول حتى نال مركزاً حسناً ولبث على ذلك مدة سبع سنوات كان يزداد فيها خبرةً ودراية في الاعمال سنة بعد سنة وهو مواظبٌ على الدأب باستقامة اكسبتهُ ثقة الغير ومحبة الاقران. واخيراً نازعهُ حب الوطن الى معاودة مسقط رأسهِ فلبى داعي الشوق وسافر الى قريتهِ المحبوبة وقد اكسبتهُ السنون عقلاً وحنكةً وزادت في منظرهِ وبنيتهِ جمالاً واعتدالاً

ولم تطأ قدمهُ ارضاً نشأ فيها حتى انتعشت نفسهُ وانشرح صدرهُ باستنشاق نسماتها العطرة ورؤية مشاهدها الطبيعية التي هيجت فيهِ تذكار ايامٍ قضاها بين تلك الحقول الزاهرة وذاق فيها لذة الحب من يد فتاة جميلة نشأ بالقرب منها وامل كل السعادة بقربها. وكان اسم الفتاة لوسيل وهي ابنة شيخ افنى العمر في حبها والاعتناء بها فشبت في مهد الدلال والرفاهية وأُشرب فؤادها هوى موريس كما أُشرب فؤادهُ حبها ولم يأتِ عليها الربيع الثامن عشر وهي السنّ التي فارقها فيها موريس

(١) معرّبة عن الفرنسوية بقلم السيدة لبيبة هاشم

حتى أفرغ عليها الشباب من حلاهِ جمالاً يبهر الابصار ويحير الافكار • فكان موريس عندما وقع بصرهُ على تلك المعاهد التي ذاق فيها حلاوة ايام الصبآء ممزوجةً بحلاوة الحب الطاهر يتمثل تلك الحبيبة وهي خارجة من منزلها طلقة المحيا زاهرة الجبين تتمايل بلباسها الوردي تحت الاشجار وتستقبل بوجهها ندى الصباح وقد استسلم عطفها لايدي النسيم فهبت لاستقبالها الاطيار ودانت لاحكام جمالها الازهار فجعلت تسير بين صفوفها مبتهجة بكل ما تقع عليهِ عيناها

واشتدَّت بموريس الهواجس وتغلب عليهِ الوجد فأخذت صورة حبيبتهِ لوسيل تتجسم لناظرهِ حتى خيل لهُ انهُ يراها حقيقةً كما فارقها منذ سبع سنين • فأمرَّ يدهُ على جبهتهِ واسرع في سيرهِ نحو منزلهِ وهو لا يهمهُ سوى الاستفهام عن لوسيل والاجتماع بها

فاستقبلتهُ مربيتهُ معانقةً ورحبت بهِ ثم تركتهُ يدخل مخدعهُ وذهبت هي لتهيئة مائدة الطعام • ولم يكن الاَّ بضع دقائق حتى دعتهُ لتناول العشآء فلبى ندآءها وشرع يأكل ومربيتهُ واقفة في خدمتهِ تسرد عليهِ ما غاب عنهُ من الحوادث والاخبار وتجيبهُ على ما يلقي عليها من الاسئلة وهي فرحة بقدومهِ متهللة بوجودهِ وما زال يسألها عن حالة قريتهِ وجيرانهِ حتى انتهى الى السؤال عن لوسيل وما صارت اليهِ في الوقت الحاضر فقالت ان السيدة لوسيل قد اصبحت قرينة لرجل مزارع يدعى الموسيو ديسنكلو

فوجم موريس لدى جوابها وصاح وهل تزوجت لوسيل • قالت نعم فان والدها قد هرم وشاخ ورأى ان يضمن لابنتهِ اسباب راحتها قبل ان يفاجئهُ داعي الحمام فزوجها بالموسيو ديسنكلو صاحب اراضي البلاتري وقد اعتنى بتحسين زراعة تلك الاراضي حتى اضحت جنة حافلة بانواع الاشجار والازهار والرياحين وذلك ما يسبب بعض السرور والابتهاج للسيدة لوسيل طبعاً لانها لم تزل كما تعهدها لها ولع شديد بالازهار فتراها غالباً في الحقول مع فتاتها الصغيرة مادلين • فقال وهل صار لها اولاد • قالت لها فتاة في الرابعة من العمر وهي صورة امها تماماً وقد القت عليها

لطف حركاتها وعذوبة مبسمها • فجمد موريس لدى استماع كلامها واتقطع عن الاكل مطرقاً يفكر في هذا الانقلاب وقد تبين الكمد في وجههِ بينما كانت مربيتهُ مستمرة في حديثها تسرد لهُ من اخبار اهل القرية ما تظنهُ يهتم لسماعهِ • واخيراً نهض قاطعاً حديثها وسار نحو مخدعهِ

ولما خلا بنفسهِ جلس امام نافذة مطلة على حقول ممتدة الاطراف قد كساها الربيع من نباتهِ وازهارهِ بساطاً جميل الالوان وارسل القمر ضياءهُ فوق تلك السهول فهيج في صدر موريس كامن التذكار فجعل يرسل من صدرهِ تنهدات تمتزج بالنسيم كأنها تشكو اليهِ ما يقاسيهِ قلبهُ الكسير من آلام الخيبة ومرارة الحرمان

ومرت تلك الليلة بموريس دون ان تذوق اجفانهُ لذة الكرى او تبرح من امام عينيهِ صورة لوسيل وفي اليوم الثاني خرج من منزلهِ كئيباً فطاف شوارع القرية وعاد على غير هدى لان افكاره كانت متجهة بجملتها الى تلك التي احبها ثم فقدها الى الابد

وكان لموريس صديق قديم يدعى شارل مطلع على كافة علائقهِ عارف بحبهِ فكتب اليهِ رسالةً يذكر لهُ فيها خبر زواج لوسيل وانهُ هو الملوم لعدم مكاشفتها بحبهِ قبل مهاجرة تلك الديار وتأجيلهِ ذلك الى ان يعود ظافراً بثروةٍ ترفع منزلتهُ في عينيها وتؤهلهُ الاقتران بها

فاجابهُ ذلك الصديق على رسالتهِ بلهجةٍ سلك فيها مسلك الجدّ والنصح الخالص فبين لهُ وجوب سلوّها والابتعاد عنها بعد ان صارت لسواه والحّ عليهِ بعدم مقابلتها بتاتاً وانهُ ينبغي لهُ ان ينظر اليها بالعين التي كان يودّ ان يراها بها الناس لو كانت قرينتهُ • فلما انتهى موريس الى هذه العبارة القى الرسالة من يدهِ ونهض متضجراً فجعل يسير في الغرفة ذهاباً واياباً ثم عاد الى تتمة قرآءة الرسالة فكانت جميعها على نمطٍ واحد من النصح والارشاد

⁂

بينما كانت لوسيل عائدة من نزهتها يوم وصول موريس تحمل في يدها باقة

من الازهار والى جانبها ابنتها الصغيرة اذ سمعت احد الفعلة يخاطب زوجها قرب الباب وكان اسمهُ سيفيان وهو خطيب خادمة لوسيل فقال لهُ لقد عاد جارنا الموسيو موريس جوسران من سفره وغداً او بعد غد يصل الى هنا

ولدى استماع لوسيل تلك العبارة صاحت دهشة وهل عاد موريس

فنظر اليها زوجها حذراً كمن يستشف دخائلها وقال لها بخشونة وهل لكِ سابق معرفة بهذا الفتى . فقالت كيف لا وهو صديقنا الحميم ويسرّني كثيراً ان اقابلهُ وابادلهُ امثال تلك الاحاديث التي كنا نقطع بها اوقات الصغر فكثيراً ما كان يهتمّ بامري ويوبخني على قرآءة الروايات الغرامية

فلم يعد في طاقة زوجها ان يسمع منها اكثر من ذلك فابتعد عنها ضجراً وقد اخذت عقارب الغيرة تدب الى قلبهِ

واخذت لوسيل ترقب مجيء حبيبها القديم وقد نفد صبرها وشعرت بتجدد حبها واضطرام فؤادها كنارٍ يكسوها الرماد ثم يطرأ عليها ما يزيلهُ عنها فيبدو لهيبها الساطع كما كان في بدء اتقادها

غير انهُ مضى على انتظارها ثلاثة اسابيع وموريس لم يحضر فاستغربت جداً عدم مجيئهِ لمشاهدتها حالة كونهِ على قيد غلوة منها حتى كادت تكذب ما بلغها من خبر رجوعهِ

ولم يكن موريس اقل شوقاً منها الى اللقآء غير انهُ رأى من الحزم ان يعمل بمشورة صديقهِ ولا يتعرض لما عساه ان يعكر صفآء حياة لوسيل وهنآءها . وفي نهاية الاسبوع الثالث خرج يوماً على عادتهِ قصد ترويح النفس فقضى نحو ساعةٍ سائراً بين الحقول والمروج ثم قصد الرجوع فدفعهُ التجوال الى طريق غير الذي اتى منهُ فسار فيهِ بضع دقائق ثم انتهى منهُ عند منزلٍ كبير مسوَّر بجدار مرتفع فعلم للحال انهُ منزل حبيبتهِ لانهُ كان قد سمع عن صفتهِ وموقعهِ فوقف مبهوتاً وبدلاً من ان يعود على اعقابهِ لبث سائراً نحو الباب الحديدي يتمتع منهُ بنظرة الى الداخل حيث تقطن لوسيل . وما كاد يفعل حتى رأى الباب قد فتح وظهرت لوسيل على

عتبتهِ تقود بيمناها طفلتها الصغيرة وتحمل باليسرى اناءً خزفياً تريد ان تملأه من عين مآء قريبة من منزلها • فحين رآها موريس وقف حائراً وقد اخذ فؤاده يخفق بشدة واعضآؤه ترتجف فلم تعد في استطاعتهِ الحركة بل كان بصرهُ محدقاً الى تلك التي هام بها شوقاً واحتمل مرارة الاغتراب ومشقة السفر لاجلها وما برح منذ قدومهِ يردد ذكرها ويتلهف على مشاهدتها وقد قادهُ الاتفاق اليها حتى اصبحت امامهُ لا يعوزهُ سوى خطوتين الى الامام حتى يمس يدها الجميلة ويسمع رنة صوتها العذب • ولم تخفَ هيئتهُ على لوسيل البتة فعرفتهُ للحال وسارت نحوهُ ببطء وقد غضت بصرها حيآء وتأثراً لتلك المفاجأة حتى اذا ما ظنت نفسها قد اقتربت منهُ رفعت رأسها فرأتهُ قد ولى عنها مسرعاً وسار في طريق آخر لا يلتفت اليها

فبهتت عند ذلك وعلا الاصفرار محياها ولبثت تراقبهُ الى ان توارى عنها • فمسحت دمعةً انحدرت من عينيها وسارت نحو عين المآء فوضعت جرتها وجلست تفكر في انقلاب موريس وسلوكهِ الغريب فانهُ لم يكفِ عدم مجيئهِ لزيارتها حتى زاد عليهِ بالفرار منها والتواري عنها • وما زالت مستغرقة في افكارها المحزنة حتى نبهها صراخ ابنتها وقد ابتلت قدماها بالمآء الذي فاض عن الجرة بعد امتلآئها فاخذتها بين ذراعيها وقبلتها ثم عادت بها الى المنزل

ولبث موريس سائراً حتى اتى منزلهُ وقد اخذت تلك الشجاعة التي تلبس بها تتلاشى رويداً ثم ندم على اضاعة تلك الفرصة حين لا يجديهِ الندم فبات يقضم البنان ويذرف الدموع حتى الصباح ورسم لوسيل لا يفارق ذهنهُ فكان يتمثلها امامهُ تنظر اليهِ تلك النظرة اللطيفة وتسمعهُ من رنة صوتها العذب ما جعلهُ يستعذب الموت في سبيل هواها ويلعن الساعة التي هرب فيها من لقآئها اجابةً لارشادات صديقهِ

ومضت اربعة ايام بعد ذلك ذاق فيها موريس من العذاب الواناً الى كان بعض الاعياد وقد اعتاد اهل القرية ان يحتفلوا فيهِ بيوم راقص في مكان عمومي فما صدق موريس ان اتى ذلك اليوم حتى ذهب الى المرقص مؤملاً لقآء لوسيل

كما سبقت لها العادة في كل عام • وقد صدق ظنهُ اذ ما لبث بعد وصولهِ ان رآها مقبلة مع زوجها وهي كالبدر تتلألأ ضياءً وعيناها الجميلتان تبعثان مع نظراتهما سحراً حلالاً وما لبثت ان امتزجت مع باقي السيدات وجلس زوجها بمعزل عن الناس ينظر اليهم من بعيدٍ نظر الفيلسوف الحكيم هازئاً بأباطيل الدنيا مستخفاً بملذات الشباب

فخفَّ موريس للقاء حبيبتهِ دون ان يخطر لهُ ببال ان يهرب منها هذه المرة وما زال حتى اقترب منها وطارحها السلام هاشاً فردت تحيتهُ بفتور وابتعدت عنهُ بأنفة متنقلةً بين صفوف السيدات وما زال يرقبها حتى تمكن من مقابلتها ثانية وكانت قد جلست على متكأ تلاعب ابنتها وخادمتها واقفة الى جانبها فلبث حيناً ينظر اليها وهي لاهية عنهُ فوجدها جميلة كما كانت ولم تغير تلك السنون شيئاً من لطف ذاتها وجمال حركاتها ثم رآها وقد رفعت رأسها وحوَّلت بصرها نحوهُ فبدت على ثغرها ابتسامة ضعيفة اماطت ظلمة الكمد عن فؤادهِ فتقدم نحوها بقدم ثابتة وصدرٍ خافق حتى اقترب منها ولبث كلاهما يتبادلان النظر باسمين دون ان يجد احدهما سبيلاً الى الحديث • وحينئذٍ صدحت الموسيقى بالحانها الشجية فترجمت لهما عما قصرت عن شرحهِ الالسنة واعادت اليهما ذكرى ايام مضت بين تلك الالحان التي طالما تعودا سماعها وهما صغيران يمرحان في بحبوحة الصفاء • فتحركت عواطفهما وتمثلا تلك الايام بلذاتها فخيل لهما انهما قد عادا صغيرين وان السبع سنوات التي مرّت على عهد افتراقهما ليست الاَّ حلماً استفاقا منهُ في تلك اللحظة • فاجالت لوسيل نظرها في الفضاء وارسلت من صدرها زفرة خفيفة ذهبت بما بقي فيهِ من الافكار المزعجة ونظرت الى موريس نظرة ترجمت لهُ عن حبها الكامن • فاهتزت عند ذلك اوصال موريس وكاد ينطرح على قدميها لولا بقية رشدٍ الزمتهُ الوقار بحضور ذلك الجمع الغفير فاقترب منها وسألها بصوت مضطرب ان ترقص معهُ

فاجابتهُ الى ما طلب ولما آذنت الموسيقى باعادة الرقص اخذ بيدها واختلطا

بالراقصين . وما اشتبكت ايديهما وتقابل وجهاهما حتى نسيا كل شيء وتمثل لهما الماضي ببهجتهِ ومسراتهِ فذهبا يمرحان كطائرين اعيدا الى حرّيتهما بعد طول الاحتباس . وبعد قليل انقطعت الموسيقى عن العزف فصاح موريس افٍ لهم لقد قصروا هذا الدور . فاجابتهُ لوسيل ضاحكةً اذا شئت فلا بأس من ان نرقص دوراً آخر . فقال هذا ما اتمناهُ غير اني لم اجسر على هذا الطلب منكِ . فنظرت اليهِ باستغراب قائلة ولمَ ذلك ولم يكن هذا شأنك فيما مضى . فقال لقد مرَّ على ذلك الحين زمنٌ . . . ثم توقف عن الحديث مرتبكاً . فلحظت لوسيل ارتباكهُ وفهمت كافة ما يجول في ذهنهِ من الافكار فاحبت ان تحدثهُ بامور شتى كانت تخالج صدرها فلم تجد الى الافصاح سبيلاً . واخيراً قالت لهُ لمَ لم تأتِ لزيارتي منذ رجوعك . قال اني اتمنى ذلك من صميم الفؤاد غير ان الحال التي صرتِ اليها تؤخرني عن لقياكِ حذر ان اسبب لكِ بعض الانزعاج . قالت ولِمَ تظن ذلك . فحاول ان يجيبها ولكنهُ توقف متململاً وقد اشتدَّ خفوق فؤادهِ ثم تمالك واجاب بصوت متهدج ذلك لاني احبكِ ولانكِ لست بمطلقة القياد . فاطرقت ببصرها ولم تجبهُ وخيم السكوت حيناً عادت فيهِ الموسيقى الى العزف فهبا الى ساحة الرقص وما صدقت لوسيل ان انتهى ذلك الدور حتى جلست مع موريس الى جانب وابتدرتهُ بالسؤال قائلةً لقد بلغني ان في عزمك السفر قريباً . فقال نعم فاني عائد الى باريس في هذين اليومين . فقالت بنغمةٍ يخالطها الحزن أوَلا تأتي لزيارتي بعد غياب سبع سنين . فاجاب موريس متأثراً اني اعدكِ بذلك قبل مسيري . فقالت ومتى اراك . فتوقف موريس عن الجواب لان مجرد الافتكار في الذهاب الى منزلها ومقابلة زوجها جعل فيهِ بعض الانقباض فقال لها ألا تذهبين احياناً للنزهة في جهات الشافو حيث يمكننا ان نلتقي اذا شئتِ . فاجابت لوسيل بدون تردد انهُ لا ألذّ من التنزه في تلك الاماكن الصخرية فلنذهب غداً مسآء

⁂

ولما كان الغد اقبل الحبيبان الى موعدهما قبيل الغروب وجعلا يسيران بين

الرياحين وهما جذلان بخمرة السرور ويتحدثان بما لم يخرج بهما عن دائرة الصداقة الخالصة • وكانت لوسيل حيث رأت زهرة جميلة اسرعت فقطفتها حتى جمعت منها باقة كبيرة ثم جلست على العشب واتخذ موريس مكاناً بقربها فجلس صامتاً ينظر اليها بينا كانت تتلاهى بترتيب الزهور في يدها ورائحة زنابقها تهب نحوهما كأنها تهنئهما بذلك السرور الذي ملأ قلبيهما

ثم رفعت لوسيل رأسها وألقت على موريس نظرة ممزوجة بالحنو والانعطاف وقالت لهُ ما اسعدنا الآن وليت هذه السانحة تدوم لنا ابد الدهر فقل لي انك لن تفارقني فيما بعد • فقال موريس اني لكِ كما تشآئين ايتها الحبيبة وسأفعل ما تأمرينني بهِ ثم تناول يدها وقبلها بشغف

وفي تلك الدقيقة كان زوج لوسيل عائداً الى منزلهِ عن طريق الشافو وفي صحبتهِ رجل يدعى جاك شانتي كان يهوى خادمة لوسيل ايضاً ويرغب في مزاحمة سيڤيان فاتى يتوسل الى الموسيو ديسنكلو ان يقنع الفتاة بترك سيڤيان وقبولهِ زوجاً لها • فوعدهُ ديسنكلو بان يبذل جهدهُ في كل ما يعود عليهِ وعلى الفتاة بالخير • فشكرهُ جاك وذهب وهو يقول اني ضامن رضاها اذا تداخلت يا سيدي في هذا الامر ولا سيما اذا كلفت السيدة لوسيل ان تقوم عنك بهذه المهمة • فقال سأخاطب قرينتي في هذا الشأن فكن مطمئناً من هذا القبيل

ثم افترقا فجلس جاك عند جذع شجرة يتأمل في حالتهِ ويردد ذكر حبيبتهِ باحثاً عن الوسائط التي تنيلهُ رضاها ومضى الموسيو ديسنكلو في طريقهِ متجهاً نحو منزلهِ • وما كاد ينفصل عن جاك حتى ابصرتهُ لوسيل من بعيد فقالت لموريس هوذا زوجي مقبل • فاخذ بيدها واستترا وراء اكوام من الهشيم الى ان مرّ ديسنكلو ولم يرَهما فعادا من مخبأهما مضطربين واسرعت لوسيل فودعت حبيبها وذهبت من طريق غير التي سلكها زوجها فوصلت الى منزلها قبلهُ وسار موريس الى منزلهِ وكلاهما يظن ان لا احد يراهما ولم يعلما ان عين جاك كانت ترقبهما وقد وقف يتبعهما نظر التهديد واشارات الوعيد ولوائح الغدر والخبث بادية في سحنتهِ

فقد كان سيء الاخلاق رديء الطباع مفطوراً على حب الاذى واثارة الشرور وفضلاً عن ذلك فقد كان بينهُ و بين موريس عداوة قديمة تسببت عن مشاجرة حصلت بينهما اذ كانا بعد صبيين فما زال يذكرها وقد اضمر لهُ الحقد والكراهة ورأى ان تلك احسن فرصة للانتقام منهُ

و بعد ذلك بيومين اقبل جاك الى منزل ديسنكلو ليرى ما كان من امر الفتاة سيمون وهل اقتنعت بالميل اليهِ فقابلهُ الموسيو ديسنكلو وقرينتهُ واشارا عليهِ بوجوب الاقلاع عن هواه لان الفتاة لا ترضى بديلاً من خطيبها سيڤيان • فقال جاك وقد اخذت منهُ الحدة ولكني احبها ولا يمكنني ان اعيش بدونها • فقالت لهُ لوسيل ان حبك وحدهُ لا يكفي لسعادتكما بل يلزم تبادل الحب بينكما وبما ان ذلك بعيد عن استطاعتها فالاجدر بك ان تسلو هواها وتبحث عمن تبادلك عواطف الاخلاص لتنال معها الراحة والسلام في مستقبل الايام • فحدجها جاك بنظرة ينبعث منها شرر الدهآء والتوبيخ وقال لها اذن من واجبات الزوجة ان تكون امينة لرجلها مخلصة لهُ

فانتفضت لوسيل لدى نظراتهِ الوحشية وانقضت كلماتهُ كالصاعقة على فؤادها ولم تجب • فاجابهُ الموسيو ديسنكلو عنها وقال لا ريب في ذلك

ثم نهض جاك وهو يقول لقد وعدتني يا موسيو ديسنكلو ان تجتهد في اقناع الفتاة سيمون ان تعدل عن قبول ذلك الحبيب الخامل ولكنك لم تفعل فهآءنذا منصرف عنك واني لا ازعجك بهذا الامر بعد الآن • ثم تركهما وانصرف مغضباً

وتقرر زفاف سيمون الى خطيبها سيڤيان بعد قليل من الزمن فاحتفل لها موسيو ديسنكلو وقرينتهُ بليلة زاهرة دعوا اليها كافة اهل القرية • وكان موريس من جملة المدعوين فدخل منزل ديسنكلو وتقابل معهُ لاول مرة وكان يشعر اذ ذاك بتأثرٍ واضطراب عظيمين ثم ما لبث ان تمالك نفسهُ واخذ يجيل بصرهُ في جوانب ذلك المنزل وما فيهِ من الرياش والزينة المتقنة وبينما لوسيل تتمايل بابهى الحلى والحلل وفتاتها الصغيرة تبسم لتلك المظاهرات كزهرة نضرة وتقفز بين تلك التحف

كأحدى ظباء الفلاة . فتنهد من فؤاد حزين وشعر بانهُ غريب عن ذلك الفردوس الجميل لا حقَّ لهُ في التمتع بشيء من مسراتهِ . ثم اخذ يسير بين الجمع متحملاً طعنات الغيرة صابراً على مرّ الخيبة

وحاول ان ينفرد بلوسيل لحظة تلطف بعض اكدارهِ فلم يفز بمرادهِ ورآها تنفر منهُ وتجتنب النظر اليهِ دون ان يعرف لذلك سبباً وقد كان هذا دأبها منذ اجتماعها الاخير بجاك وسماعها منهُ تلك الكلمات الجافية مما جعلها تخشى كل شيء وتتوقع المكروه من اقل حركة تصدر منها

ثم سار الحضور بالعروسين الى الكنيسة فامل موريس حينئذٍ ان يكون له من جلبة الناس وتزاحمهم وسيلة الى مقابلة لوسيل التي كانت دائماً ملتصقة بالعروس او بزوجها لا تدع لهُ سبيلاً الى الدنو منها

ومرَّ المشهد في طريق تحاذي مقبرة قريبة من المعبد قد انتشرت فيها التماثيل والقبور والاشجار مما يبعث على الوحشة في النفس . وكان جاك شانتي مختبئاً وراء بعض القبور وقد اطلَّ رأسهُ ليرى سيمون بلباس العرس وكانت نظراتهُ الوحشية تنبئ بما تضمنهُ فؤادهُ من نيران العداء وحب الانتقام . فرآها بثوبها الابيض وقد استندت الى ذراع عروسها والبشر يتلألأ في محياها فانحدرت من مقلتيهِ دمعتان ولم يكن لهما عهدٌ بالبكاء قبل ذلك الحين

وبعد نهاية صلاة الاكليل عاد المدعوون بالعروسين الى منزل ديسنكلو وجعلوا يتوافدون الى داخلهِ وقد تغير بذلك ترتيب صفوفهم فحدث ان ابتعدت لوسيل عن موقفها فاسرع اليها موريس واخذ بذراعها قائلاً لقد امكنني ان اراكِ اخيراً فلمَ تحلين بالهرب والابتعاد

فلم تجب لوسيل وكان سكوتها واضطراب نظراتها ينبئان عما يخامر فؤادها من الجزع والقلق . وبدون ان ينتظر موريس جوابها اخذ يشكو اليها ما يقاسيهِ من مرارة الغيرة منذ وجودهِ في منزلها واستطرد الى ذكر احوال العروسين وكم ينالهما من السعادة اذ يتطارحان احاديث الحب دون ان يكون ما يزعجهما من تبكيت

الضمير • ثم قال تعساً لي انا الشقي فقد قضي عليَّ بخسرانكِ الى الابد فأي امل ارجوهُ بعد من الدهر واي سعادة القاها من الحياة • ثم ضغط على ذراعها بقوة وحدَّة وتنهد قائلاً اني احبكِ رغماً عن كل ما اقاسيهِ من الآلام

فتأثرت لوسيل لسماع كلماتهِ وألقت رأسها الجميل على كتفهِ و بكت بحرقة فنسي موريس في لحظة جميع آلامهِ وشعر بلآلئ دموعها تنحدر الى اعماق قلبهِ الخافق فتضمد ما تفتح فيهِ من الجراح البالغة

وانهما لكذلك اذ سمعا حركة اقدام خفيفة بين الاعشاب فتراجعت لوسيل الى الورآء مذعورة ولحقت بالقوم واسرع موريس بالمسير نحو منزلهِ بعد ان توسل اليها ان توافيهُ الى مكان موعدهما في اليوم الثاني • وما ابتعدا قليلاً حتى لاح في مكانهما شبح جاك وقد اتبعهما نظر التهديد والانتقام

***

وفي اليوم الثاني كانت لوسيل شديدة القلق كثيرة المخاوف تنظر الى زوجها وهو يلاعب ابنتهما الصغيرة باسماً وتلك تضحك لهُ ابتهاجاً وسروراً فتغبطهما على ما هما فيهِ من هدوء البال ونعيم الحياة وتتمنى لو تحصل على مثل مسراتهما وخلوّ بالهما • ولكنها ما لبثت ان وجهت افكارها الى الموعد الذي ستتقابل فيهِ مع موريس فخفق فؤادها وزاد اضطرابها ثم اغمضت عينيها واستغرقت في بحر متلاطم من الافكار فرأت ان المخاطر تتهددها من كل صوب وان هوى موريس قد تملك مهجتها وغلَّب على قوة جنانها وانهُ لم يبقَ قوة في العالم تفصل بينهما او تدفع عنهما ما يتهدد حياتهما وشرفهما من ذل التهور وخطر الضياع

وخرج زوجها على عادتهِ ولبثت هي وحدها تشاغل نفسها بقرآءة بعض الكتب الى ان دنت ساعة الموعد او كادت فتأهبت للخروج وحين ابصرتها مادلين كذلك اسرعت فتعلقت بثوبها متوسلة اليها ان تصحبها معها في نزهتها • فضمتها الى صدرها وقبلت جبينها قائلة تعالي معي يا ملكي الحارس وقادتها بيدها الى خارج المنزل

وكان الجوّ حينئذٍ صحواً والرياح ساكنة والشمس ملتحفة الغيوم كطفل قد توسد حضن امهِ بسكون وهنآء فما اجتازت لوسيل غير مسافة يسيرة حتى رأت موريس مقبلاً ووجههُ يتهلل بشراً • وحين ابصرتهُ الفتاة الصغيرة هرعت لاستقبالهِ باسمة فحملها بين ذراعيهِ وهمَّ بتقبيلها واذا بطلق ناري قد دوى بقربهِ وشعر بالفتاة قد ارتعشت بين يديهِ فنظر واذا بثوبها الابيض قد صبغ بالدمآء من رصاصة اخترقت احشآءها • فصاح بالفاعل ووضع الجريحة على الاعشاب واسرع ليرى القاتل

وكادت لوسيل تجنّ جزعاً على ابنتها فاقتربت منها وضمتها الى صدرها فشعرت منها بحركة تدلّ على بقآئها حية فعادت بها الى المنزل واستدعت لها طبيباً اخرج الرصاصة في الحال وقرر انها في حالة خطرة

فجثت الام عند سرير طفلتها وابتهلت الى الله بدموع حارّة ان يردّ اليها وحيدتها ثم اخذت تفكر في هول ذلك الحادث وماذا عساها ان تقول لزوجها متى عاد ورأى ابنتهُ على تلك الحال

وكان السبب في ذلك ان جاك اتى وكمن لهما بنآء على ما سمعهُ من تواعدهما في الليلة السابقة ولما رأى موريس مقبلاً رفع بندقيتهُ واصلح زنادها وهو يصر باسنانهِ كوحش ضارٍ ثم اطلقها عليهِ في حين كان موريس قد رفع الفتاة على ذراعهِ فاصابتها الرصاصة بدلاً منهُ

وما هي الاَّ ساعة بعد خروج الطبيب حتى حضر الموسيو ديسنكلو وقد علم بما حدث من الاهالي المجاورين ولما سمعت لوسيل صوت خطواتهِ تقترب من الباب شعرت ان ضربات قلبها قد وقفت وضعفت رجلاها عن حملها فسقطت مغمى عليها وحملت الى مخدعها • وبعد ان استفاقت من غيبوبتها عادت الى حجرة ابنتها وهي لا تجسر ان ترفع طرفها الى زوجها وقد كان جالساً قرب سرير الفتاة ولوائح الحزن الشديد مرسومة على محياه • وكانت تنتظر ان يصوّب اليها ولو كلمة لوم او نظرة توبيخ فلم يفعل بل كان مثابراً على السكوت لا يهمهُ سوى امر الاعتنآء بابنتهِ فادركت انهُ عالم بكل شيء وانهُ يحتقرها فتمنت لو ان الارض تغفر فاها

وتبتلعها فتخلص من ثقل وطأة الندم وآلام التبكيت الذي كان يؤلمها بهما ضميرها بلا شفقة. وقد عظم قدر زوجها في عينيها وكان لها من سكونهِ وكرم اخلاقهِ احسن مؤدب واقوى زاجر جعلها تصمم على نبذ هوى موريس وتخصيص ما بقي من حياتها لمودة ذلك الزوج الشريف الذي لم تصادف منهُ في حياتها الاَّ كل حب ورعاية وانقلبت في تلك الساعة من فتاة عاشقة الى زوجة عارفة بواجباتها وام حنون تضحي كافة مسراتها في سبيل حبها الوالدي

ولم يكن موريس اقل منها آلاماً في ذلك الحين فودَّ لو انهُ يلقاها لحظةً ويجثو على قدميها مستغفراً عما جرَّهُ عليها من الويل ولكن تعذر عليهِ ذلك فلبث بضعة ايام اسير الهواجس القتالة الى ان اضناهُ الهمّ والحزن فاقبل نحو منزلها متسللاً واحتال في مقابلتها. فلما احست بهِ لوسيل جمدت في مكانها عابسة فناداها موريس بصوتٍ خائر قائلاً لوسيل ... صفحاً ... لوسيل . اجيبيني بكلمة ... قولي لي انكِ لا تبغضيني

فتأثرت لوسيل من كلماتهِ وداخلها بعض الشفقة ولكنها وجهت افكارها للحال نحو حجرة وحيدتها وهي تتقلب على فراش الموت والى جانبها ذلك الوالد المسكين. فقاطعتهُ بحدة قائلة اذهب . اذهب . انسَ الماضي ولا تحاول ان تراني فيما بعد

فصاح ثانية من فؤاد ادماهُ الحزن . لوسيل . وقبض على يدها فجذبتها منهُ بلطف وقالت الوداع . الوداع . ثم ابتعدت عنهُ مجفلة فلبث ينظر اليها حتى توارت عن بصرهِ فعاد ادراجهُ . وفي اليوم الثاني هجر تلك الربوع الى الابد

وبعد ذلك اخذت وطأة الحمى تخفّ عن الفتاة واستبشر الاطبآء بشفآئها فبكت لوسيل سروراً ودخلت مخدع ابنتها وهي تمسح دموعها فسمعت زوجها يخاطب الفتاة برقة فاجابتهُ الصغيرة بصوت ضعيف ومدت اليهِ يديها الصغيرتين فقبض عليهما ونظر الى قرينتهِ وهي داخلة والسرور يلمع في محياهُ فقال لها لقد نجت مادلين

وكأن عبارتهُ قد مست اعماق قلب لوسيل فتقدمت وجثت عند قدميهِ وقبضت على يديهِ قائلةً اصفح عني

فضمها الى صدرهِ وهو يقول ولَم تطلبين صفحاً . وما ذنبكِ اذا كانت الحماقة قد ادت بجاك الى الانتقام منا بسبب تزويج سيمون لسواه . ولقد ندم على ما فعل فانتحر ووجدوه في اليوم الثاني مشنوقاً في الغابة . فلا ينبغي ان نعود الى هذا الموضوع بعد الآن ولنشكر الله على سلامة وحيدتنا . فألقت رأسها على صدره باكية وقالت لهُ لله انت ما اطيب قلبك وما اكرم اخلاقك

وشفيت مادلين بعد قليل من الزمن فشمل السرور افراد تلك الاسرة وعاشوا في نعيم اعواماً الى ان اغتال البين لوسيل من بينهم غير متجاوزة الثلاثين ربيعاً. وكانت وهي على فراش الموت تذكر موريس وتتمنى ان تراهُ لحظة قبيل موتها

وبينما كانت تجود بانفاسها الاخيرة وقد خرج زوجها لكي لا ترى دموعهُ وتسمع نحيبهُ وساد السكون والهدوء في ذلك المنزل واطرق كافة من فيهِ حزناً وخشوعاً اذا بصوت حوافر جواد تقترب من المنزل مسرعة. وما قرع سمع لوسيل ذلك الصوت حتى خفق فؤادها وتبادر الدم الى عروقها وتمتمت قائلةً هذا هو ولبثت محدقة الى الباب كأنها تنتظر قدوم احد

ولم يخطئ ظنها فما لبثت ان رأت موريس داخلاً بثياب السفر فنادتهُ بصوت خائر ومدت اليهِ يديها الضعيفتين فاقترب صامتاً وضمها الى صدره فألقت رأسها على كتفهِ وقالت الآن اموت بسلام . ثم ناولتهُ ملفاً واسلمت الروح فرسم على ذلك الجبين الناصع قبلة الوداع واضجع تلك الجثة المهزولة على السرير قائلاً وهو يسحب ذراعهُ من تحت رأسها ارقدي بسلام ايتها النفس الطاهرة وانتظري ريثما اوافيكِ حيث لا يفصل بيننا رقيب اوضمير

وخرج على اثر ذلك من الغرفة ولوائح الحزن الشديد مرسومة على محياه فكان يأتي بحركات اشبه بحركات المعتوهين ولما صار خارج المنزل فتح الغلاف الذي يحملهُ من لوسيل فرأى الرصاصة التي أُخرجت من جسد ابنتها وهي ملفوفة في ورقة قد سطر عليها هذه العبارة « هذه افضل تذكار منحتني اياه مدرسة الايام »